سورة الحجرات آداب وأحكام

إعـــداد
دكتور / أحمد بن عمر بن أحمد السيد
أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن
كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كان بعباده بصيراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وصلى الله على من أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، نبياً محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل به المشتغلون، هو كتاب الله عز وجل، تعلما وتعليماً؛ إذ هو المعجزة الباهرة، والحجة القاهرة، لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا يشبه منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، فلا يزال العلماء في كل عصر ومصر ينهلون من علومه، ثم يبينون للناس ما فهموا، ويذكرون لهم ما استنبطوا، واضعين – في ذلك كله- معرفة في تفسيره فمنهم من يعتمد على التفسير بالمأثور ومنهم من يعتمد على التفسير يجد كل مفسر له بطريقة معينة في تفسيره فمنهم من يعتمد على التفسير بالمأثور ومنهم من يعتمد على التفسير بالرأي ومنهم من يجمع بينهما فيجمع بين الرواية والدراية وكل ما كان المفسر بارعا في علم من العلوم اتجه تفسيره إلى هذا العلم وأن من أجود التفاسير من يعتمد التفسير التحليلي الشامل للآية من كل جوانبها فيتعرض لاسم السورة، وفضلها، وسبب نزولها إن وجد، ومكان نزولها، ثم مناسبة السورة لما قبلها، ثم البلاغة، ثم مناسبة السورة لما قبلها، ثم البلاغة ثم أهم أغراض السورة، ثم أهم أغراض السورة، ثم أهم موضوعاتها، ثم الأحكام الفقهية المستنبطة منها، ثم ما يستفاد منها وغير ذلك فيجعل القارئ علىعلم كامل بكل ما تحويه هذه السورة من فوائد ودرر.

وكان اختيار يلسورة الحجرات هذه السورة المدنية العظيمة التي ربت المجتمع المدني على الآداب الكريمة فعلمتهم كيف يكون آدبهم مع الله ومع رسوله، ومع

إخوانهم المسلمين ثم أكدت على عظيم ما من الله بن عليهم من هذا الدين العظيم الذي أخرجهم به من الظلمات إلى النور وجعلهم بهذا الدين من خير الأمم فسادت على جميع الأمم وقادتهم وما ذاك إلا بفضل هذا الدين وعلمهم كيف يحافظون عليه ويتأدبون بآدابه فيكونون به خير الأمم كما وصفهم الله بذلك في كتابه وكذلك ما اشتملت عليه هذه السورة من أحكام وقد عشت مع هذه السورة متنقلا بين مباحثها أجني منها هذه الفوائد العظيمة التي تناولتها موضوعات هذه السورة الكريمة سائلا الله ﷻ أن ينفعنا بالقرآن وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وأخر دعوانه أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد.

الباحث

د/ أحمد بن عمر بن أحمد السيد

وتشتمل خطة هذا البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة

التمهيد: ويشتمل على ما يلي :

١- اسم السورة.

٢- زمن نزولها ومكانه.

٣- عدد آياتها.

٤- مناسبتها.

٥- أغراضها.

الفصل الأول : بين يدي السورة وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: أسباب نزولها.

المبحث الثاني: وقفات بلاغية في السورة.

المبحث الثالث: موضوعات السورة.

المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي ذكرت في السورة.

الفصل الثاني : الأحكام والآداب الواردة فيها وتحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله.

المبحث الثاني: رفع الصوت فوق صوت النبي (ﷺ) والجهر له بالقول.

المبحث الثالث: خبر الفاسق.

المبحث الرابع: قتال البغاة.

المبحث الخامس: السخرية والتنابز بالألقاب.

المبحث السادس: الظن والتجسس والغيبة.

المبحث السابع: الفرق بين الإسلام والإيمان.

المبحث الثامن: الآداب المستنبطة من السورة.

الخاتمة وتشتمل على :

أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد: ويشتمل على :

اسم السورة:

اسمها التوقيفي "سورة الحجرات" وسميت سورة الحجرات بهذا الاسم في جميع المصاحف، وكتب التفسير "والسنة، وقد ورد التسمية في بعض الصحابة رضوان الله عليهم فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :" نزلت سورة الحجرات بالمدينة"[(١)]. وعن ابن الزبير مثله [(٢)].

ووجه التسمية أنها ذكر فيها لفظ الحجرات في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الحجرات: ٤.

وتسمى أيضا عند بعض العلماء المتأخرين "سورة الأخلاق والآداب"[(٣)] فقد أرشدت إلى أداب المجتمع الإسلامي وكيفية تنظيمه، وأشارت بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، ونودي فيها بوصف الإيمان خمس مرات، وأصول تلك الآداب خمسة وهي: طاعة الله ورسوله(ﷺ) وتعظيم شأن الرسول(ﷺ) والتثبت من الأخبار المنقولة، وتحريم السخرية بالناس، وتحريم التجسس والغيبة وسوء الظن.

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائله، باب "فيما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة" حديث رقم ١٧ ص (٣٣)، والبيهقي في الدلائل باب "ذرك السور التي نزلت بمكة والني نزلت بالمدينة" (١٤٢/٧) ونسبة السيوطي في الدر المنثور (٥٤٦/٧) لابن مردويه والنحاس.

(٢) وأورده السيوطي الدر المنثور (٥٤٦/٧) وعزاه لابن مردويه.

(٣) وممن سماها بهذا الاسم من العلماء وهبة الزحيلي في كتابه : التفسير المنير (٢١١/٢٥) ومحمد بن علي الصابوني في كتابه: قبس من نور القرآن الكريم (٢٠٣/١٢) ولكن لم يثبت دليل على هذه التسمية.

مكان نزولها وزمنه:

نزلت في المدينة في السنة التاسعة من الهجرة وهي مدينة باتفاق أهل التأويل. وترتيب نزولها الثامنة بعد المائة في ترتيب نزول القرآن بعد سورة المجادلة وقبل سورة التحريم وترتيبها في المصحف التاسعة والأربعون(١).

عدد آياتها:

مجموع عدد آيات سورة الحجرات ثمانية عشر آية.

مناسبتها لما قبلها:

قال البقاعي: ولما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي (ﷺ) في ابتدائها باسمه الشريف وسمي السورة به، وملأ سورة الفتح بتعظيمه، وختمها باسمه، ومدح أتباعه لأجله افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخلاق، وهي أما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله (ﷺ) أو مع غيرهما وأن كان كل قسم لا يخلو عن لحظة عن الأخر، وغيرهما أما أن يكون داخلا مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجاً عنها، وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضراً عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسببها خمس مرات، كل مرة لقسم منها، وافتتح بالله لأن الأدب معه هو الأصل الجامع للكل والاسس الذي لا يبني إلا عليه، وافتتح بالله لأن الأدب معه هو الأصل الجامع للكل والأسس الذي لا يبني إلا عليه، فقال مناديا للمتسمين بأول أسنان القلوب تنبيها على أن سبب نزولها من أفعالهم لا من افعال أهل الكمال، فهو هفوة تقال، وما كان ينبغي أن يقال، وليسمل الخطاب المعهود للأدنى- ولو مع النفاق- من فوقه من باب الأولى(٢).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٠٧/٤)، والتحرير والتنوير (١٧٨/٢٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٢٠/٧-٢٢١).

وقيل أيضاً في مناسبتها لما قبلها: أنه قد ختمت السورة السابقة بالتنوية بشأن النبي (ﷺ) وبيان علو درجته عند الله وبالثناء على المؤمنين بذكر مثلهم في التوراه ومثلهم في الإنجيل، فكان جديرا أن يعلم هؤلاء الخيرة الأبرار ما يجب عليهم مع صفوة الرسل عليه الصلاة والسلام من التبجيل والاحترام[1].

ويقول الإمام الرازي في تفسيره[2] وفي بيان حسن الترتيب وجوه:

أحدها: أن في السورة المتقدمة لما جرى منهم ميل إلى الامتناع مما أجاز النبي (ﷺ) من الصلح وترك أية التسمية والرسالة وألزمهم كلمة التقوى كأن رسول الله (ﷺ) قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتجاوزوا ما يأمر الله تعالى ورسوله.

الثاني: هو أن الله تعالى لما بين محل النبي عليه الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين قال لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول ولا تغتروا برأفته وانظروا إلى رفعة درجته الثالث: هو أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء ورحماء فيما بينهم راكعين ساجدين نظرا إلى جانب الله تعالى وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ما أورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله ذلك مثلهم في التوراه ومثلهم في الإنجيل فإن الملك العظيم لا يذكر أحدا في غيبته إلا إذا كان عنده محترما ووعدهم بالأجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجتكم وإحباط حسانكم.

(١) ينظر: نظرات في سورة الحجرات، لكامل الدقس ص (١٥).

(٢) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٩٥/٢٨).

أغراض السورة:

تعرضت سورة الحجرات لأغراض عدة من أبرزها:

١- تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع الله ومع رسوله(ﷺ) في معاملته، وخطابه، وندائه، وأن سبب تعليمهم أياها هو ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء الإ'راب لما نادا الرسول (ﷺ) من بيته.

٢- وجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتثبت في نقل الخبر مطلقا وأن ذلك من خلق المؤمنين.

٣- مجانبة أخلاق الكافرين والمنافقين.

٤- التطرق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين والأمر بالإصلاح بينهم لأنهم إخوة في هذا الدين.

٥- ما أمر به من آدب حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم في السر والعلانية.

٦- التحذير من بعض الأخلاق الذميمة التي تهدم المجتمع المسلم وتفكك روابط الأخوة كالسخرية، والغيبة، والتجسس، والطعن في أعراض الناس.

٧- بيان حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام، والشروط التي ينبغي أن تتوفر في المؤمن، ليكون صادقا في دعواه، فليس الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان، بل هو عقيدة راسخة في القلب تنبني عليها أمور عدة.

الفصل الأول بين يدي السورة وفيه عدة مباحث

المبحث الأول: أسباب نزولها:

لقد وردت عدة أسباب نزول لبعض الآيات في سورة الحجرات.

فالسبب الأول:

ما أخرجه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما – رفعا أصواتهما عند النبي (ﷺ) حيث قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس – رضي الله عنه – أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما- ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إلى قوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الحجرات: (٢-٣).

قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير – رضي الله عنه – فما كان عمر رضي الله عنه إذا حدث النبي (ﷺ) بحديث، حدثه كأخي السرار، لم يسمعه رسول الله(ﷺ) بعد هذه الآية حتى يستفهمه[1].

السبب الثاني:

أخرج الترمذي والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "ام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال النبي(ﷺ): " ذاك الله ﷻ" فأنزل الله قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**) الحجرات: ٤.

وقد ذكر هذا من المفسرين الطبري، والقرطبي، وابن كثير وغيرهم[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم (٦/٢٦٦٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٦/١٢١)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٠٩) وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٠٨) وذكر البغوي، وابن عطية، وابن عاشور، والسعدي أحاديث مشابه له.

قال الطبري :" وذكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله (ﷺ) من وراء حجراته: يا محمد أخرج إلينا"[1].

وقال ابن عاشور :" والمراد بالذين ينادون النبي ﷺ من وراء الحجرات جماعة من وفد بني تميم..." [2].

السبب الثالث:

أخرج الإمام أحمد: عن عيسى بن دينار قال حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي- رضي الله عنه- قال : قدمت على رسول الله (ﷺ) فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله، أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي دفعت زكاته،وترسل إلى يا رسول الله إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله (ﷺ)، أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله (ﷺ)، كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله (ﷺ)، الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه، انطلقوا بنا نأتي رسول الله (ﷺ)، وبعث رسول الله (ﷺ) الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده، مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق – أي خاف – فرجع حتى أتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله : إن الحارث قد منعني من الزكاة وارد قتلى، فغضب رسول الله (ﷺ)، وبعث البعث إلى الحارث- رضي الله عنه- وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبل البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث- رضي الله عنه – وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبل البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال : إلى من بعثتم؟ قالوا: ولم ؟ قالوا: إن رسول الله (ﷺ) بعث

(١) ينظر : جامع البيان للطبري: (١٢٢/٢٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢٤/٢٦).

إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال : رضي الله عنه – : لا والذي بعث محمداً (ﷺ)، بالحق ما رأيته بته، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله (ﷺ) قال :" منعت الزكاة وأردت قتل رسولي " ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطه من الله تعالى ورسوله قال :" قال : فنزلت الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) إلى قوله (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الحجرات : ٤-٨[1].

وقد حكى ابن عبد البر اتفاق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في قصة الوليد ابن عقبة هذه[2].

قال ابن عاشور :" وقد تضافرت الروايات عند المفسرين عن أم سلمة وابن عباس والحارث بن ضرار الخزاعي أن هذه الآية نزلت عن سبب قضية حدثت وذلك أن النبي (ﷺ) بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة"[3].

السبب الرابع :

وهي قصة ذهاب رسول الله (ﷺ) لعبد الله بن أبي، فقد روي البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك (ﷺ) قال : قيل لرسول الله (ﷺ): لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حمارا وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي (ﷺ) : قال : إليك عني، فو الله لقد آذاني حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله (ﷺ)، أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/٣٠) حديث رقم (١٨٤٥٩) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٠٨/٤) وقال السيوطي في الدر المنثور (٩١/٦) : أخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد، وقال الهيثمي في المجمع (١١٢/٧): ورجال أحمد ثقات.

(٢) ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٦٣٧/٣) رقم (٩١٤٧).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٨/٢٦).

أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت فيهم : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) الحجرات : ٩[١].

وقد ذكر جمهور المفسرين هذا الحديث عند تفسير هذه الآية كما ذكروا معه غيره منهم الطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور[٢].

السبب الخامس:

ما أخرجه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فتكلموا فقالوا: قاتلتكم مضر ولسنا بأقلهم عددا ولا أكلهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما تكلموا هكذا، قالوا: لا قال :" إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم "قال عطاء فأنزل الله (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) الحجرات : ١٧[٣].

وقد ذكر جمهور المفسرين هذا الحديث عند نزول هذه الآية ومنهم الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وابن عاشور[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب خروج الإمام إلى المواضع ليصلح بين الناس (٩٥٨/٢) رقم (٢٥٤٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والبر، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على المنافسين (١٤٢٤/٣)، وأحمد (٥٦/٢٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٢٨/٢٦) ومعالم التنزيل (٢١٢/٤) وأحكام القرآن (١٧١٧/٤) والمحرر الوجيز (١٤٠/١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣١٥/١٦) تفسير القرآن العظيم (٢١١/٤) والتحرير والتنوير (١٤٥/٢٦) ومعالم التنزيل (٢١٨/٤) المحرر الوجيز (١٥٧/١٥) الجامع لأحكام القرآن(٣٤٨/١٦) وتفسير القرآن العظيم (٢١٩/٤) والتحرير والتنوير (٢٦٩/٢٦).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا) (٤٦٧/٦) رقم (١١٥١٩).

(٤) ينظر:جامع البيان (١٤٥/٢٦) ومعالم التنزيل (٢١٨/٤) المحرر الوجيز (١٥٧/١٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/١٦) وتفسير القرآن العظيم (٢١٩/٤) والتحرير والتنوير (٢٦٩/٢٦).

وقد ورده أسباب عدة في أسباب نزول بعض الآيات في سورة الحجرات ولكنها ضعيفة وحرصت أن يكون سبب النزول صحيح فاقتصرت على أسباب خمسة وهي الصحيحة في هذه السورة[1].

المبحث الثاني
وقفات بلاغية في السورة

في هذه السورة بعض الوقفات البلاغية نقف عندها تجلية للفظ وإيضاحا للمعنى.

الوقفِة الأول: في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا) تنبيه المخاطبين على أن ما بعده أمر خطير يستدعي مزيد العناية والاهتمام بشأنه ووصفهم بالإيمان لنشيطهم والإيذان بأنه داع للمحافظة عليه أو وازع عن الإخلال به[2].

الوقفة الثانية: في قوله تعالى : (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الحجرات:١.

ففي هذه الآية استعارة تمثيلية، شبه حال الذين يبدون آراءهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم بحال من تقدم للسير أمام ملك أو حاكم عظيم، وكان عليه أدبا أن يسير خلفه.

قال الزمخشري : ورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفي على الناظر من بينات إكبار محل رسول الله ﷺ وإجلاله:

منها : مجيئها على النظم المسجل به، بالسفه، والجهل لما أقدموا عليه.

ومنها: لفظ "الحجرات" وإيقاعها، كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها:المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذين تبين به ما استنكر عليهم. ومنها: التعريف باللام دون الإضافة[3].

في قوله : (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) الحجرات: ٦. فائدتان:

---

(١) ينظر :المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة للدكتور خالد المزيني (٢/٩٢٨-٩٣١).

(٢) ينظر: تفسير أبو السعود (٥٨١)، وروائح البيان لتفسير آيات الأحكام من القرآن للصابوني (٣/٤٧٩).

(٣) ينظر: الكشاف ٣/٥٥٨، وتفسير القاسمي ١٥/١١٢.

الأولى: تقرير التحذير وتأكيده، ووجهه أنه تعالى لما قال : (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) قال بعده: وليس ذلك مما لا يلتفت إليه، ولا يجوز للعاقل أن يذهب: هب أني أصبت قوما، فماذا علي ؟ بل عليكم منه الهم الدائم، والحزن المقيم، ومثل هذا الشئ واجب الاحتراز منه.

الثانية: مدح المؤمنين، أي لستم ممن إذا فعلوا سيئة لا يلتفتون إليها، بل تصبحون نادمين عليها[1].

الوقفة الثالثة: في قوله تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) في هذه الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة، وهذا الالتفات من المحسنات البديعية كما قرره علماء البلاغة، ويقصد به التعظيم أي هؤلاء الذين حبب إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، هم الذين بلغوا أرفع الدرجات وأعلى المناصب، ونالوا هذه الرتبة العظيمة ربة الرشاد فضلا من الله وكرما[2].

الوقفة الرابعة: في قوله تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لم يقل في ولاية منكم مع أن الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا) تنبيها على قبح ذلك أو تبعيدا لهم عنهم.

الوقفة الخامسة : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) فإنه كني عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله كلحم الأخ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله.

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٢١/٢٧، وتفسير القاسمي ١١٧/١٥.

(٢) ينظر : روائع البيان لتفسير آيات الأحكام من القرآن للصابوني (٤٨١/٣).

فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس، وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة.

وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها، والبعد عنها، ولما كانت كلك كانت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه، فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة.

وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة، والشهوة لها، مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها، لانك إذا نظرت إلى كل واحدة من الدلالات الأربع التي أشرنا إليها، وجدتها مناسبة لما قصدت له[1].

الوقفة السادسة : في قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) تشبيه بليغ وأصل الكلام المؤمنون كالاخوة في وجوب التراحم والتناصر فحذف وجه والشبه فأصبح بليغاً[2].

المبحث الثالث
موضوعات السورة

إن النظرة السريعة لهذه السورة توحي لصاحبها أن هذه السورة قد اشتملت على عدة موضوعات متفرقة، ولكن النظرة المتأنية تصل بصاحبها إلى أن السورة تتناول موضوعا واحدا وهو معالجة قضايا أساسية في المجتمع المسلم تتفرع عنه عدة موضوعات مترابطة، حيث تجد التجانس والتلاحم يجمع بين أولها وأخرها ويؤكد ذلك وسطها وهذه الموضوعات تتركز خمسة موضوعات وهي:

الموضوع الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله.

(١) انظر: تفسير القاسمي ١٣٤/١٥.

(٢) ينظر: التفسير المنير (٢٣٥/٢٦).

الموضوع الثاني: التثبت من الإخبار.
الموضوع الثالث: التقوى وامتحان القلوب.
الموضوع الرابع : الأخوة.
الموضوع الخامس: الإسلام والإيمان.

فلقد ابتدأت السورة الكريمة بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين، تجاه شريعة الله وأمر رسوله، وهو ألا يبرموا أمرا، أو يبدوا رأيا، أو يقضوا حكما في حضرة الرسول ﷺ حتى يستشيروه، ويستمسكوا بإرشاداته الحكيمة (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم.

ثم انتقلت إلى أدب آخر وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول ﷺ تعظيما لقدرة الشريف، واحتراما لمقامه السامي، فإنه ليس كعامة الناس بل هو رسول الله، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والإجلال (يا أيها الذين أمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).

ومن الأدب الخاص إلى الأدب العام، تنتقل السورة لتقرير دعائم المجتمع الفاضل، فتأمر المؤمنين بعدم السماع للإشاعات،وتأمر بالتثبت من الإنباء والأخبار، لا سيما إن كان الخبر صادرا عن شخص غير عدل أو شخص متهم، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق، سبب كارثة من الكوارث، وكم من خبر لم يتثبت منه سامعه، جر وبالا، وأحدث انقساما (يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآيات.

ودعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين ودفع عدوان الباغين (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الآيات.

وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز، ونفرت من الغيبة والتحسس، والظن السيئ بالمؤمنين، ودعت إلى مكارم الأخلاق، والفضائل الاجتماعية، وحين حذرت من الغيبة جاء النهي في تعبير رائع عجيب، أبدعه القرآن غاية الإبداع صورة وجل يجلس إلى جنب أخ له ميت ينهش منه ويأكل لحمه (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ

بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) الآية ويا له من تنفير عجيب.

وختمت السورة بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا الإيمان كلمة تقال باللسان، وجاءوا يمنون على الرسول إيمانهم، وقد وضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الإسلام وشروط المؤمن الكامل، وهو الذي جمع الإيمان، والإخلاص والجهاد، والعمل الصالح (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) إلى أخر السورة الكريمة.

المبحث الرابع
الأساليب القرآنية التي ذكرت في السورة

يتميز الأسلوب القرآني في هذه السورة بتنوعه، ويظهر ذلك من خلال الآتي:

أ-أسلوب التحذير، وجاءت صورة كالآتي :

١. التحذير من مخالفة الله ورسوله في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الحجرات:

٢. التحذير من رفع الصوت في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وميتا في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات: ٢.

٣. التحذير من السخرية من الآخرين في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ) : الحجرات : ١١.

٤. التحذير من اللمز في قوله تعالى : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) الحجرات: ١١.

٥. التحذير من التنابز بالألقاب في قوله : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) الحجرات:١١.

٦. التحذير من ظن السوء في الآخرين في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) الحجرات: ١٢.

٧. التحذير من التجسس على الغير في قوله : (وَلَا تَجَسَّسُوا) الحجرات: ١٢.

٨. التحذير من اغتياب الغير في قوله : (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) الحجرات: ١٢.

ب- أسلوب الحث والترغيب وصوره كالآتي :

١. الترغيب في نيل المغفرة بغض الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الحجرات: ٣.

٢. الترغيب في الصبر في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الحجرات: ٥.

٣. الحث على التثبت من صحة الأخبار في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) الحجرات: ٦.

٤. الحث على الصلح بين المتخاصمين في قوله تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) الحجرات: ٩، وفي قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الحجرات: ١٠.

ج٠ أسلوب النداء وصوره كالآتي:

١- الحث على التعارف والاندماج مع المجتمعات في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الحجرات: ٣.

٢- النداء الموجه من رب العزة والجلال إلى المؤمنين لتحذيرهم من رفع أصواتهم في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات : ٢.

٣- النداء الموجه من المؤمنين لحثهم على التثبت من الأخبار في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) الحجرات : ١١.

٤- النداء الموجه إلى المؤمنين لتحذيرهم من مساوئ الأخلاق في قوله تعالى : (يأيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم) الحجرات : ١٢.

٥- النداء الموجه من المؤمنين للاستمرار في تحذيرهم من مساوئ الأخلاق في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) الحجرات: ١٣.

الفصل الثاني
الأحكام المستنبطة من السورة وتحتوي على المباحث التالية
المبحث الأول
التقدم بين يدي الله ورسوله (ﷺ)

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) الحجرات ١ ما يلي :

أولاً: وجوب اتباع أقوال النبي (ﷺ) والاقتداء به :

قال ابن العربي: هذه الآية أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ وإيجاب اتباعه، والاقتداء به ولذلك قال النبي (ﷺ) في مرضه: مروا ابا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة لحفصة: قولي له: أن أبا بكر رجل أسيف[1]، وأنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عليا- وفي مسلم فمر عمر- فليصل بالناس، فقال النبي ﷺ :" أنكن لأنتن صواحب يوسف: مروا أبا بكر فليصل بالناس"[2]. قال ابن العربي: يعني بقوله : صواحب يوسف : الفتنة، بالرد عن الجائز إلى غير الجائز[3].

ثانياً: وجوب تقوى الله في السر والعلن:

لأن التقدم بين يدي الله ورسوله إما حسي أو معنوي، لا يعصم من ذلك إلا التقوى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن صور التقدم التي نهانا الله عنها في كتابه وتدخل تحت هذه الآية هي التحاكم إلى غير شرع الله لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله (ﷺ) بشئ، حتى يقضي الله على لسانه.

---

(١) أسيف: حزين، وقيل : سريع الحزن والبكاء.

(٢) رواه البخاري (١٢٢/٤) كتاب الأنبياء، ومسلم (١، ٣١٣/٣١٤) كتاب الصلاة رقم (٤١٨).

(٣) ينظر : أحكام القرآن لابن العربي ١٧١٣/٤.

أي يا أيها المؤمنون، يا من أتصفتم بالإيمان، وصدقتم بكتاب الله، لا تقدموا أمرا وفعلا بين يدي الله ورسوله، وحذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قولٍ أو فعل، أي لا تبرموا أمرا، ولا تبدوا رأيا، ولا تقضوا حكما في حضرة النبي (ﷺ) مثله إذا عرضت مسألة في مجلسه ﷺ.

لا يسبقونه بالجواب، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل، وإذا هبوا معه إلى مكان، لا يمشون أمامه نحو ذلك، قال ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه (ﷺ) وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال البيضاوي: المعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكم الله ورسوله بهٍ، وقيل : المراد بين يدي رسول الله (ﷺ) وذكر اسم الله تعظيما له وإشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله[1].

فابتدأت هذه السورة الكريمة، بتوجيه أنظار المؤمنين، إلى الأدب الرفيع، الذي ينبغي أن يتأدب به المسلمون تجاه شريعة الله عز وجل، وأمام مقام صاحب الرسالة العظمى، أن النبي (ﷺ)، وهو أن لا يبدوا رأيان ولا يبرموا أمرا، ولا يقضوا بحكم أمام شرع الله، ولا في حضرة الرسول (ﷺ) حتى يستشيروهن ويستمسكوا بتعاليمه الحكيمة.

المبحث الثاني
رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ والجهر له بالقول

الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات : ٢.

إن الحديث عن الأدب مع النبي الرحمة وحامل الرسالة ذو شجون، لما للمصطفى صلوات الله عليه من مكانة عظيمة في نفوس كل المسلمين. فإن مكانة النبوة مكانة عظيمة ومرتبة عالية شريفة، لا يمنحها الله إلا لمن يستحقها، ولا شك إن

(١) ينظر : قبس من نور القرآن للصابوني (٢٠٣/١٢).

حبيبنا ونبينا صلى الله عليه وسلم كان هو المهيأ لحمل الرسالة، وعندما ظهرت الرسالة على يد الرسول (ﷺ) وبدأ يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك، آمن به من آمن، وكفر من كفر، وكان ممن أمن قبائل من الإعراب اعتادوا على الجلافة في التعامل، واتسموا بالقصور في كثير من تصرفاتهم، فكانت نظرتهم إلى النبوة كما لو أنها منصب قبلي، أو وجاهة في المجتمع، ولم يكن لديهم الاستشعار بالجانب الروحاني للنبوة، ولذلك وقع من بني تميم ما وقع من رفع الصوت عند مناداتهم للحبيب (ﷺ)، فنزل القرآن موجها ومؤدبا لهم بكل رفق ولين، مقدرا طريقة حياتهم، واسلوب تفكيرهم، حتى قذف المهابة في نفوسهمٍ، فبدأوا يصححون من نظرتهم للنبوة، حتى صارت مرتبطة لديهم بالوحي، وهذا ما جعلهم يعيدون النظر في تلك النظرة القاصرة، وأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه نبي مرسل من رب العالمين، وليس معينا من قبيلة أو جهة اجتماعية، وبذلك تهيأت نفوسهم للعمل بالآداب التي دعت إليها هذه السورة خصوصا، ودعا إليها القرآن عموما.

قال القرطبي : كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي (ﷺ) وتلقيب الناس فالسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب(١).

ومن الأحكام المستنبطة من الآية ما يلي :

أولا: حرمة النبي (ﷺ)، ميتا كحرمته حيا، وقد ذكر بعض العلماء أن كلامه المأثور – بعد وفاته – (ﷺ)، مثل كلامه المسموع من لفظه، من حيث وجوب الإنصات، وعدم جواز رفع الصوت عند من يتلو كلامه، كما لا يجوز الإعراض عنه.

قال القاضي ابن العربي :" حرمة النبي (ﷺ) ميتا كحرمته حيا،وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه؛ فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه بهٍ، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة علىمرور الأزمنة بقوله تعالى (وَإِذَا قُرِئَ

(١) الجامع لأحكام القرطبي (١٦/٢٥٥).

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) وكلام النبي ﷺ من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناه، بيانها في كتب الفقه، والله أعلم"[1].

حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيا، وكلامه:

ثانياً : قال بعض العلماء: إن معنى قوله : (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) أي لا تخاطبوهِ: يا محمد، يا أحمد، ولكن يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له وتعظيما[2]. وما ذكره العلماء هو في حياة الرسول (ﷺ) أما بعد وفاته فلا يجوز دعاؤه (ﷺ)، كما يفعل المبتدعة والمشركون، بخاصة عند قبره (ﷺ). ويستفاد مما ذكره العلماء، أنه لا يليق ذكر اسمه مجرداً عن وصفه بالنبوة أو الرسالة، أو الصلاة عليه (ﷺ)، حيث إن ذلك من الجفاء وسوء الأدب، ومما يكون له تأثيره السيئ في نفوس السامعين، أو القراء، بينما يجب أن نربي الناس على حبه، وتعظيمه، وتوقيره، واحترامه مما يليق بمكانته الرفيعة (ﷺ) وآله.

ثالثاً : ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة به (ﷺ)، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون كما أن رفع بحضرته (ﷺ)، لحاجة تدعو إلى ذلك، وليس فيهٍ أذى لرسول الله (ﷺ)، فإنه جائز، بل قد يكون صاحبه مأجورا، كالآذان، وأثناء الحرب لإخافة العدو، أو نداء المجاهدين من الصحابة، فقد ورد أن رسول الله (ﷺ) أمر العباس يوم حنين – عندما انهزم المسلمون- أمره أن ينادي في الناسٍ، وفي بعض الروايات "اصرخ بالناس" وكان العباس أجهر الناس صوتا فنادى بأهل الشجرة (ﷺ) [3]. وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره (ﷺ) احتراما لمكانته وإجلالا له (ﷺ) [4].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١٧٠٣/٤)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٠٦/١٥)

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٣٠٧/١٥، والحديث أخرجه مسلم في الصحيح (١٣٩٨/٣) كتاب الجهاد رقم (١٧٧٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٣٨٠/٥، ٣٧٩).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠٧/١٥).

قال ابن كثير : قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره (ﷺ)، كما كان يكره في حياته، لأنه محترم حيا وفي قبره (ﷺ)، وقد روينا عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي (ﷺ)، قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال : أتدريان أين أنتما؟ ثم قال : من أين أنتما" قالا : من أهل الطائف، قال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا[1].

رابعا: إن الذين يخفضون عند رسول الله (ﷺ) إذا تكلموا إجلالا له، أو كلموا غيره بين يديه إجلالا له، أولئك الذين اختص الله قلوبهم للتقوى، وطهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى، ولهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

المبحث الثالث
خبر الفاسق

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) الحجرات: ما يلي :

أولاً : وجوب التثبت من الأخبار المنقولة والمروية، أخذا بالحيطة والحذر، ومنعا من إيذاء الآخرين بخطأ فادح، فيصبح المتسرع في الحكم والتصديق نادما على العجلة وترك التأمل والتأني لذا كان النبي (ﷺ)، التأني من الله والعجلة من الشيطان"[2].

قال ابن العربي : من ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانةٍ، والفسق قرينة تبطلها[3]، فأما في الإنسان على نفسه فلا يبطل إجماعاً[4].

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٢٠٧/٤، وتفسير القاسمي (١١٣/١٥) وهذا الأثر أخرجه البخاري في الصحيح (١٢١/١) كتاب الصلاة.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بن مالك.

(٣) استثنى من ذلك بعض المسائل مما يتعلق بالدعوى والجحود، وإثبات حق مقصور على الغير، ونحو ذلك ينظر: تفسير القرطبي ٣١٢/١٥.

(٤) ينظر: أحكام القرآن ١٧١٥/٤.

ثانياً : في هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلا، لأنه أمر بالتثبت عند نقل خبر الفاسق، وهذا دليل على قبول خبره – بدون تثبيت – إذا كان عدلا ولا فرق في ذلك بين ما كان في العقائد وغيرهما، وهذا منهج أهل السنة والجماعة، ولا يلتفت إلى قول غيرهم(١).

ثالثاً : في الآية دليل على أن خبر الواحد لا يوجب العلم اليقيني بدليل وجوب التثبت فيه، إذ لو كان يوجب العلم بحال، ما احتيج فيه إلى التثبيت(٢).

رابعاً : إنه يصح أن يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه.ط

وقال ابن العربي : لا خلاف أنه يصح أن يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه، أو شئ يوصله، أو أذن يعلمه، إذا لم يخرج عن حق المرسل والمبلغ، فإن تعلق به حق لغيرهما لم يقبل قوله، وهذا جائز للضرورة الداعية إليه، فإنه لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني إلا العدول لم يحصل منها شئ لقلتهم في ذلك(٣).

خامساً : جواز قبول خبر الفاسق في أمور المعاملات:

قال الجصاص: واتفق أهل العلم على جواز قبول خبر الفاسق في أشياء، فمنها أمور المعاملات يقبل فيها خبر الفاسق، وذلك نحو الهدية، إذا قال إن فلانا أهدى إليك هذا، يجوز له قبوله وقبضه، ونحو قوله : وكلني فلان ببيع عبده هذا فيجوز شراؤه منه، ونحو الإذن في الدخول إذا قال له قائل: أدخل لا تعتبر فيه العدالة، وكذلك جميع أخبار المعاملات(٤).

سادساً : إن وجود الرسول ﷺ في أصحابه ركن تثبت وأناه وتأنٍ، فيمنع التسرع في إصدار الأحكام فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه، لكان خطأ، ووقع في العنت وهو الإثم والمشقة والهلاك من أراد إيقاع الهلاك بأولئك

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١٧١٦/١٥، وسنذكر بعض المصادر الخاصة.
(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٩٩/٣).
(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ١٧١٦/٤.
(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣٩٩/٣).

القوم لعداوة كانت بينه وبينهم، ويكون المراد من قوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلا تكذبوا فإن الله تعالى يعلم رسوله ﷺ أنبأكم فتفتضحون.

المبحث الرابع
قتال البغاة

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ الحجرات : ٩..

أولاً : يجب على ولاة الأمور وحكام الدول الإسلامية الإصلاح بين فئتين متقاتلتين مسلمتين بالدعوة إلى كتاب الله لهما أو عليهما، وبالنصح والإرشاد،والجمع والتوفيق بين وجهات النظر. فإن تعده إحدى الفئتين ولم تجب إلى حكم الله وكتابه، وتطاولت وأفسدت في الأرض، فيجب قتالها باستعمال الأخف حتى الفيئة إلى أمر الله، أي الرجوع إلى كتابه، فإن رجعت وجب حمل الفئتين على الإنصاف والعدل، فإن الله يحب العادلين المحقين، ويجازيهم أحسن الجزاء.

قال أبو بكر بن العربي: هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عني النبي ﷺ بقوله :" يقتل عمارا الفئة الباغية"(١).

والفيئة الباغية في اصطلاح الفقهاء: هي فرقة خالفت الإمام بتأويل سائغ في الظاهر، باطل بطلانا مطلقا بحسب الظن لا القطع، ولابد أن يكون للبغاة شوكة وعدد وعدة يحتاج الإمام إلى كلفة ببذل مال أو إعداد رجال، فإن كانوا أفرادا يسهل ضبطهم فليسوا بأهل بغي.

ثانياً: في هذه الآية والتي بعدها : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ الحجرات : ١٠ دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى

(١) أي من البغاة ونحوهم، لأنهم مسلمون ووجوب قتالهم لا يخرجهم من الإسلام.

سماهم أخوة مؤمنين مع كونهم باغين، قال الحارث الأعور: سئل على بن أبي طالب ﷺ وهو الحجة والقدوة، سئل عن قتال أهل البغي: أمشركون هم ؟ قال : لا، من الشرك فروا وفي رواية : من الكفر فروا).

فقيل : أمنافقون؟ قال : لا، لأن المنافقين لا يذكرون إلا الله قليلا.

قيل له : فما حالهم؟ قال : إخواننا بغوا علينا[1].

قال القرطبي في تفسيره عن واجبنا تجاه ما وقع بين الصحابة فقال : لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به[2]. إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ، عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم[3].

هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة أن طلحة شهيد، ومما يدل على ذلك ما صح وانتشر من إخبار على بأن قاتل الزبير في النار وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم، وجهادهم وعظيم عنائهم في الدين رضي الله عنهم، وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت فيما بينهم فقال : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) البقرة : ١٣٤. وسئل بعضهم عنه – أيضاً – فقال : تلك دماء قد طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني، يعني من التحرز من الوقوع في خطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه.

(١) خرجه مسلم (٤/٢٢٣٦) كتاب الفتن رقم (٢٩١٦).

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ١٥/٣٢٣.

(٣) وهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان لا جميعهم.

قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال : إن سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين أخوة يوسف مع يوسف، ثم أنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا، قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق[1].

ثالثاً : إن من أحكام البغاة إذا قاتلهم الإمام فإنه لا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا تسبي ذراريهم، لا أموالهم، وإذا قتل العادل الباغي وهو وليه لم يتوارثا وهو القول الأصح من أقوال أهل العلم وهو فعل الصحابة في حروبهم، فلم يتبعوما مدبرا، ولا دففوا على جريح، ولا قتلوا أسير، ولا ضمنوا نفسا ولا مالا، قال ابن عمر قال النبي ﷺ:" يا عبد الله أتدري كيف حكم الله فيمن بغي من هذه الأمة؟ قال الله ورسوله أعلم، فقال : لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها"[2].

(١) ينظر : تفسير القرطبي (٣٢١/١٥).

(٢) أخرجه البزار في كشف الأستار برقم (١٨٤٩) والحاكم في المستدرك (١٥٥/٢).

المبحث الخامس
السخرية والتنابز بالألقاب

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) الحجرات: ١١.

أولاً : حرمة السخرية بالمسلم، بل وغيره مما لا تجوز السخرية به.

قال الجصاص: نهى الله بهذه الآية عن عيب من لا يستحق أن يعاب على وجه الاحتقار له، لأن ذلك هو معنى السخرية، فإن كان معيبا فاجرا فعيبه بما فيه جائز.

فروى أنه لما مات الحجاج قال الحسن: اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته، فإنه أتانا أخيفش أعيمش، يمد بيد قصيرة البنان، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله، يرجل جمته، ويخطر في مشيته، ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة، لا من الله يتقيٍ ، ولا من الناس يستحي، فوقه الله، وتحته مائة ألف أو يزيدون، لا يقول له قائل: الصلاة أيها الرجل، ثم قال الحسن: هيأت والله[1]، حال دون ذلك السيف والسوط[2].

قال القاسمي: وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير، والضحك عليه، ولاستهانة به، والاستصغار له، وعليه نبه بقوله تعالى : (عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) الحجرات: ١١.

أي : لا تستحقره استصغارا، فلعله خير منك، وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به، فأما من جعل نفسه مسخرة، وربما فرح من أن يسخر به، كانت السخرية في حقه من جملة المزح، ومنه ما يذم[3] وما يمدح.

---

(١) أي هيهات أن يجرؤ أحد أن يقول له ذلك، كأنه يعتذر للناس في زمان الحجاج لسكوتهم عن الإنكار.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/٤٠٤.

(٣) هذه نفيسه فالزمها.

وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به، لما فيه من التحقير والتهاون، وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه، ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة، كالضحك على حفظه، وعلى صنعته، أو على صورته وخلقته، إذا كان قصيراً أو ناقصاً، لعيب من العيوب، فالضحك من جميع داخل في السخرية المنهي عنها[1].

ثانياً: حرمة التنابز بالألقاب، وهو التداعي بما يكره منها، فإن الألقاب على ثلاثة أنواع:

١- قسم يكرهه الإنسان ويبغضه، وهو ما يعبر به، فهذا يحرم التسمية به أو النداء. بل إن الرسول ﷺ غير ألقاب بعض أصحابه وأسماءهم، فسمي العاص: عبد الله، وشهاباً، هشاماً، وسمي حرباً سلماً. وهذا هو المراد بالآية : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) الحجرات: ١١.

٢- قسم يحبه صاحبه كأبي تراب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث لقبه الرسول ﷺ به. قال سهل بن سعد : ما كان اسم أحب إلى علي أن يدعي به من أبي تراب. فهذا لا يكره.

٣- وقسم غلب عليه الاستعمال، كالأعرج والأحدب، ولم يكن لصابح فيه كسب يجد في نفسه منه عليه. قال ابن العربي : فجوزته الأمة، واتفق على قوله أهل الملة.

ثم قال : وهذا بشرط ألا يقصد قائله التعبير واللمز ونحوه، قال ابن العربي: والذي يضبط هذا كله ما قدمناه من الكراهة لأجل الأذية[2].

وقال القرطبي: وعلى هذا المعنى ترجم البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من الجامع الصحيح في (باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم: الطويل والقصير لا يراد به شين

(١) ينظر: تفسير القاسمي ١٢٦/١٥.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ٤٠٥/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١٧٢٣/٤.

الرجل) قال : وقال النبي ﷺ :" ما يقول ذو اليدين" قال أبو عبد الله بن خويز منداد، تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره، ويجوز تلقيبه بما يحب، ألا ترى أن النبي ﷺ لقب عمر بالفاروق، وأبا بكر بالصديق، وعثمان بذي النورين، وخزيمة بذي الشهادتين، وأبا هريرة بذي الشماليين، وبذي اليدين في أشباه ذلك.

قال الزمخشري: ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن، قال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكني فإنها منبهة.

ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، حمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها- من العرب والعجم – تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير.

قال الماوردي: فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف رسول الله ٠ص) عددا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الألقاب.

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصغر، فقال: إذا أردت صفة ولم ترد عيبه فلا بأس به.

المبحث السادس
الظن والتجسس والغيبة

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) الحجرات : ١٢.

أولاً : إن الظن على أربعة أضرب: محظور، ومأمور به، ومندوب إليه، ومباح.

فأما الظن المحظور فهو سوء الظن بالله، روى جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول : "لا يموتن أحدكم إلا وهون يحسن الظن بالله عز

وجل"[1]. وكذلك من الظن المحظور سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة، وهذا هو المراد بالآية، وكذلك ما يشمله حديث رسول الله ﷺ الثابت في الصحيحين، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"[2].

قال الجصاص: وكل ظن فيما له سبيل إلى معرفته، مما تعبد بعلمه فهو محظور، لأنه لما كان متعبدا تعبد بعلمه ونصب له الدليل عليه فلم يتبع الدليل وحصل على الظن كان تاركا للمأمور به[3].

أما المأمور به: هو ما لم ينصب له عليه دليل يوصله إلى العلم اليقيني به، وقد تعبد بتنفيذ الحكم فيه، فالاقتصار على غالب الظن وإجراء الحكم عليه واجب وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وأرش الجنايات التي لم يرد بمقاديرها توقيف، فهذه وما كان من نظائرها قد تعبدنا فيها بتنفيذ أحكام غالب الظن[4].

وأما الظن المندوب إليه فهو حسن الظن بالأخ المسلم، فإن قيل : إذا كان سوء الظن محظورا فواجب أن يكو ن حسن الظن واجباً، قيل له: لا يجب ذلك لأن بينهما واسطة، وهو أن لا يظن به شيئاً، فإذا أحسن الظن به فقد فعل مندوباً إليه[5].

وأما الظن المباح فالشكاك في الصلاة يجوز له أن يعمل بما غلب على ظنه، ويجوز له أن يبني على اليقين[6].

---

(١) صحيح مسلم (٢/٩٢٥) كتاب الحج رقم (١٢٧٠)، وانظر: تفسير القرطبي ١٥/٣٢٩.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٣٢٠٥) كتاب الأدب، ومسلم (٤/١٩٨٥) كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٦٣) والترمذي (٤/٣١٣) كتاب البر والصلة، رقم (١٩٨٨).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٠٦).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٠٦).

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٠٦).

(٦) هكذا قال الجصاص ٣/٤٠٧، والمسألة فيها تفصيل ليس هذا مكانة.

ثانياً: حرمة التجسس وتتبع العورات، وهذه الآية نص في ذلك، قد ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة قال : قال ﷺ ولا تحسسوا ولا تجسسوا"[1].

والتحسس والتجسس معناهما متقارب وحكمهما واحد، وقد قرئ في الشواذ "ولا تحسسوا" بالحاء وممن قرأ بذلك: أبو رجاء والحسن وغيرهما.

ومعنى الآية : خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي : لا يبحث أحادكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله[2].

ثالثاً : حرمة الغيبة، وقد ثبت تحديدها في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال : إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته"[3].

وقد ذهب قوم إلى أن الغيبة لا تكون إلا في الدين، ولا تكون في الخلقة والحسب، وقالوا: ذلك فعل الله به وذهب آخرون إلى عكس ذلك فقالوا: لا تكون الغيبة إلا في الخلق والخلق والحسب، والغيبة في الخلق أشد، لأن من عاب صنعه فإنما عيب صانعها.

قال القرطبي : وهذا كله مردود.

---

(١) هو تكملة الحديث السابق "إياكم والظن" أخرجه البخاري (٨٩/٧، ٨٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٩٨٥/٤)، كتاب البر والصلة رقم (٢٥٦٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٣٢/١٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣٣٤/١٥) كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٨٩) وأبو داود (٦٢٩/٤) كتاب الأدب، رقم (٤٨٧٤) والترمذي (٢٩٠/٤) كتاب البر والصلة، رقم (١٩٣٤) وأحمد في المسند (٢٣٠/٢، ٣٨٤، ٣٨٦)

أما الأول: فيرده حديث عائشة حيث قالت في صفية: إنها امرأة قصيرة، فقال لها النبي ﷺ :" لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته"(١).

وقد أجمع العلماء على أن ذلك غيبة أن أريد به العيب وأما الثاني: فمردود – أيضا – عند جميع العلماء لأن العلماء من أول الدهر من أصحاب رسول الله ﷺ التابعين بعدهم لم تكن الغيبة عندهم في شئ أعظم من الغيبة في الدين. ولأن عيب الدين أعظم العيب، وكل مؤمن يكره أن يذكر في دينه أشد مما يكره في بدنه(٢).

رابعاً: لا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحداً فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل. وهل يستحل المغتاب؟ اختلف في ذلك :

فقالت طائفة ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه، واحتجت ببعض الحجج الضعيفة، وليس فيها دليل من كتاب أو سنة.

وقالت طائفة: هي مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه، واحتجت بحديث يروي عن الحسن، قال :" كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته" وهذا ليس لحديث وإنما هو قول للحسن.

وقالت طائفة: هي مظلمة وعليه الاستحلال منها، واحتجت بقول النبي ﷺ:" من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليتحلله منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم "الحديث"(٣).

والقولان الأولان ضعيفان، والثالث هو الصحيح، ولكن استثنى بعض العلماء ما إذا خشي حدوث مفسدة من إخباره بأنه اغتابه، أو مات قبل تحلله، فإنه يدعو له ويذكره بخير، ويستغفر له، ويكون كفارة له، وهذا هو الراجح، الله أعلم(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٩/٤) كتاب الأدب رقم (٤٨٧٥) والترمذي (٥٧٠/٠٤) كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٢) وأحمد في المسند (١٨٩/٦) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١٤٠).

(٢) ينظر : تفسير القرطبي (٣٣٧/١٥) فقد توسع في ذلك ودلل عليه.

(٣) ينظر : تفسير القرطبي (٣٣٧/١٥) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح (٩٩٠/٠٣) كتاب المظالم، وأحمد في المسند (٥٠٦٩/٢).

وقال قال العلماء : ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر، وقد ورد في ذلك بعض الأحاديث وروى عن الحسن أنه قال : ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والإمام الجائر.

وروى الربيع بن صبيح عن الحسن قال : ليس لأهل البدع غيبة[٢].

ومما تجوز فيه الغيبة: ذكر من ظلمك لمن ترجو أن ينصفك، أو لنفي التهمة عنك قال سبحانه : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ النساء : ١٤٨.

وقال ﷺ :" لي الواجد يحل عرضه وعقوبته"[٣]. وقالت هند لرسول الله ﷺ: " أن أبا سفيان رجل شحيح يعطيني ما يكفيني أنا وولدي" الحديث[٤].

ومما تجوز فيه الغيبة إذا كان ما تذكره من سوء فيه مصلحة غالبة أو ضرورة، كمن يسأل عن رجل ليأتمنه على مال أو عرض أو نحوه.

وكمن يريد تزويج إنسان أو يتزوج منه لقوله ﷺ :" أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه"[٥].

ولكن يجب ألا يزيد السائل أو المتظلم عن مقدار الحاجة التي دعت لذكر هذا الأمر، ولا يجوز التوسع فيه، وليحذر من مداخل الشيطان فإنه شيطان والله يعصمنا

---

(١) ينظر : آفات اللسان للقحطاني ص (٤٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٣٣٩/١٥).

(٣) هذا الحديث عليه البخاري في الصحيح بصيغة التمريض فقال :" ويذكر عن النبي ﷺ فذكره، انظر: صحيح البخاري (٨٥/٣) كتاب الاستقراض. قال الحافظ في الفتح (٧٦/٥) وصله أحمد وإسحاق في مسنديهما وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن الشريد بن أوس الثقفي عن أبيه بلفظه، وإسناده حسن. انظر: سنن أبي داود (٣١٣/٣) كتاب الأقضية، رقم (٣٦٢٨) انظر: سنن النسائي (٣١٦/٧) كتاب الصدقات، رقم (٤٦٩٠، ٤٦٨٩).

(٤) ينظر : تفسير القرطبي (٣٣٩/١٥) والحديث أخرجه البخاري (١٩٣/٦) كتاب النفقات. ومسلم (١٣٣٨/٣) كتاب الأقضية.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (٣٣٩/١٥) والحديث أأخرجه مسلم في الصحيح (١١١٤/٢) كتاب الطلاق.

من الزلل[1]. وكذلك منهج أهل الحديث في ذكر الرواة، قد جمع بعض العلماء الأمور التي تجوز فيها الغيبة بهذين البيتين [2]:

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر فسقاً ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

المبحث السابع
الفرق بين الإسلام والإيمان

من الأحكام المستنبطة من قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات: ١٤.

أولاً: أن الإيمان أخص من الإسلام.

قال ابن كثير رحمه الله :

استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل – عليه السلام – حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان[3]، فترقي من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه.

وروى الإمام أحمد والطبري بسنديهما عن عامر بن سعد بنٍ أبي وقاص عن أبيه – رضي الله عنهما – قال : أعطي رسول الله ﷺ، رجالاً ولم يعط رجلا منهم شيئا، فقال سعد : يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا، ولم تعطج فلانا شيئا وهو مؤمن، فقال ﷺ : أو مسلم، حتى أعادها سعد ثلاثا، والنبي ﷺ : يقول : أو مسلم، ثم قال النبيٍ ﷺ :" أني لأعطي رجالاً وأدع من هو أحب إلى منهم، فلم أعطه شيئا مخافة أن

(١) ينظر: آفات اللسان للقحطاني ص (٤٨).

(٢) ينظر: رياض الصالحين ص (٥٧٥-٥٧٧) وقد خصص النووي بابا في رياض الصالحين ذكر فيه الأمور التي تباح فيها الغيبة وجعلها ستة.

(٣) أخرجه مسلم (٣٦/١) في كتاب الإيمان رقم (٨).

يكبوا في النار على وجوههم" قال ابن كثير : أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به[1]. قال ابن كثير فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام.

قال القاسمي : ومن اللطائف أن يقال في الإيمان والإسلام ما قالوه في الفقير والمسكين: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا[2].

ويعني بذلك أنه إذا أطلق لفظ الإيمان وحده فإنه يشمل الإيمان والإسلام مثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا) النساء : ١٣٦ فيشمل الإيمان والإسلام.

وإذا أطلق لفظ الإسلام وحده فإنه يشمل الإسلام والإيمان مثل قوله تعالى : (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) آل عمران : ١٠٢. أي مسلمون مؤمنون.

وإذا اجتمعا افترقا، أي أنه إذا جاء الإسلام والإيمان في جملة واحدة فإن لكل واحد معناه الذي يخصه، فالإسلام: الانقياد في الظاهر، والاستسلام لحكم الإسلام. والإيمان : هو التصديق بالقلب.

ولا يكون الإنسان مؤمناً الله على العبد أن وفقه لطاعته، وخطورة تسرب شئ من الشعور بمنة العبد على الله، وهذا محبط للعمل ومذهب لِلإيمان.

وقد يكون الشعور بالمنة على الله- نعوذ بالله من ذلك – إما بالقول أو العمل، وأخطره ما كان بالقلب لصعوبة الإحساس به ودقته وخفائه فهو أخطر من الرياء.

رابعاً: إن الله لا يخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء ومن ذلك ما في الضمائر والقلوب، فهو تعالى يعلم الإيمان الحقيقي من الإيمان الكاذب، ويعلم المقاصد والغايات، والمخاوف والأطماع، والبواعث التي تدفع إلى الدخول في الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/١) في كتاب الإيمان، وصحيح مسلم (١٣٢/١) في كتاب الإيمان رقم (١٥٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢١٩/٤) وتفسير القاسمي (١٤٠/١٥).

المبحث الثامن
أهم الآداب التي اشتملت عليه السورة

١- الأدب مع الشرع : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

٢- الأدب مع النبي ﷺ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الحجرات : ٢-٣)

٣- أدب تلقي الأخبار : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) الحجرات: ٦.

٤- أدب الأخوة بين المؤمنين : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

٥- أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الحجرات: ٩.

٦- الأداب الاجتماعية بين المسلمين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ()الحجرات : ١١-١٢.

٧- أدب التعامل مع الناس بشكل عام : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣وقد تأخر ذكر أدب التعامل مع الناس في السورة وهذا ليرشدنا أنه قبل أن نتعامل مع الناس بأدب علينا أن نحقق ونكتسب كل الآداب السابقة في التعامل مع رسولنا وفيما بيننا، حتى نتميز بأخلاقنا وآدابنا، وحتى نترك عند الناس من غير المسلمين الانطباع الحسن، لأن الخلق الحسن قد يفتح من البلاد وقلوب العباد ما لا تفتحه الحروب والمعارك. وكم من الناس دخلوا في الإسلام بِأخلاق المسلمين الفاتحين لا بالسيف فهذه السورة العظيمة هي حقا سورة الآداب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمه للعالمين، صلاة وسلاما متلازمين إلى يوم الدين أما بعد.

فأحمد الله تعالى على كرمه وامتنانه بأن أعانني في إتمام هذا البحث الذي أسأله تعالى أن يرزقني الثواب والجزاء الحسن به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

فإن سورة الحجرات تعتبر من السور المدنية التي عالجت بتركيز شديد أهم القضايا المتعلقة بالجانب الأخلاقي للمجتمعات عموما، كونها عالجت بعض السلوكيات السائدة في المجتمعات الأعراب المشهورين بالجلافة والغلظة، فجاءت آيات هذه السورة الكريمة موجهة إلى تلك السلوكيات وموبخة لأصحابها، وعملت على تغيير النظرة القاصرة التي كان أولئك الأعراب ينظرونها إلى محمد صلوات الله وسلامة عليه، فغيرتها من النظرة القبلية والاجتماعية إلى نظرة أكثر وعيا وشمولا من سابقتها، ووجهتهم إلى التوبة والاستغفار عما بدر منهم، لتبدأ التهيئة الربانية لتلك النفوس للتعامل السوي مع رسول الأمة وخاتم المرسلين.

وهكذا استمرت السورة من خلال خمس محاور في التحذير بخمس نداءات للمؤمنين تلا كل نداء تحذير من أخلاق ذميمة وقبيحة، لو استفحلت في المجتمع المسلم فإنها ستفكك بنيانه.

ولم تغفل السورة الكريمة الإنسان عموما، بغض النظر عن أصله وجنسه ولونه، فوجهت للناس نداء لتذكيرهم بأصلهم وخالقهم ولبين هدف سام من أهداف تنوع مشاربهم واختلاف قبائلهم وشعوبهم، ثم ذيلت تلكم الآية ببيان الميزان الذي يفاضل به المولى عز وجل بين خلقه.

ثم ختمت السورة بخاتمة بالإشارة إلى مدى علم الله جل وعلا، وفي ذلك تنبيه وتحذير واضح للعباد بأن يتركوا الأخلاق الذميمة التي حذرهم الله منها، فالله يعلم

ويرى أفعالهم وسلوكهم، وكأن الله تعالى يغرس في نفوسهم هيبة الرقيب العليم الذي لا يغيب عن علمه شئ.

وفي نهاية هذا البحث استخلصت عدة نتائج كان من أهمها:

١- أن سورة الحجرات مدنية، نزلت بعد الهجرة.

٢- أن السورة لها أكثر من سبب نزول.

٣- أن سبب تمسيتها ورود ذكر حجرات أمهات المؤمنين فيها.

٤- أن محورها الرئيس هو التربية الأخلاقية للمجتمع المحمدي المسلم.

٥- أن جميع محاور السورة تدور أغراضها حول المحور الرئيسي لها.

وصلى الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- أسماء سور القرآن وفضائلها، د/ منيرة الدوسري، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى.
٢- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، : نشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٦ هـ).
٣- أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.
٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ).
٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق : علي البجاوي، القاهرة.
٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، نشر : مكتبة دار عالم الفوائد، الطبعة الاولى سنة (١٤٢٦هـ) ضمن المجموعة الكاملة لآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف د/ بكر عبد الله أبو زيد.
٧- إعراب القرآن، لأبي أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، نشر : مكتبة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٦هـ).
٨- أنواراً لتنزيل وأسراراً لتأويل للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٤هـ).
٩- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير ب أبي حيان الأندلسي، عناية الشيخ: عرفان العشا حسونة، نشر : دار الفكر، بيروت، سنة (١٤٢٥ – ١٤٢٦هـ).

١٠- التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، تعليق: محمد غوث الندى، نشر : الدار السلفية، الهند.
١١- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، نشر : دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
١٢- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق : عبد الرازق المهدى، نشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).
١٣- تفسير المنير في العقيدة والمنهج، تأليف د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر بدمشق.
١٤- تفسر القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، للحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الجيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٢٤هـ).
١٥- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي : مصطفى السيد محمد ورفاقه، نشر : دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).
١٦- تفسير القرآن العظيم، لعبد الرازق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٠٩هـ).
١٧- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين من الحجرات إلى الحديد، نشر : دار الثريا، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هت).
١٨- تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، نشر : دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٦هت٩.
١٩- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هت).
٢٠- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢١- تفسير مجاهد بن جبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمنم الطاهر بن محمد السورتي، نشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٦هـ).
٢٢- تفسير مقاتل، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية ببيروت.

٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، سنة (١٤١٧هـ).
٢٤- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤هـ/م).
٢٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة بيروت، دار الطبعة الأولى سنة (١٤٢٧هـ).
٢٦- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق : د/ عبد العال سالم مكرم، دار الشرق بيروت.
٢٧- حجة القراءات، لعبد الرحمن، بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٨- الدرر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، نشر : إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢١هـ).
٢٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق : السيد محمد السيد وسيم إبراهيم عمران، نشر:دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٦هـ).
٣١- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٢هـ).
٣٢- السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، نشر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
٣٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشئ من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة، سنة (١٤٠٨هـ).

٣٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة (١٤٠٧هـ٩ت).
٣٥- سنن ابن ماجدة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٣هـ).
٣٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
٣٧- لسنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١١هـ).
٣٨- سورة الحجرات في سؤال وجواب، لأبي عبد الله مصطفى العدوي.
٣٩- سورة الحجرات، دراسة تحليلية، وموضوعية، د/ ناصر العمر، دار الوطن.
٤٠- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤١- صحيح البخاري، نشر: دار السلام الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٧هـ).
٤٢- صحيح سنن ابن ماجة، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر : مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ).
٤٣- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر : مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ).
٤٤- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر : مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ).
٤٥- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ).
٤٦- صحيح مسلم، نشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢١هـ).

٤٧- العجاب في بيان الأسباب (أسباب النزول) لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، نشر: دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٨هـ).
٤٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، توتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي نشر: دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ.
٤٩- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، نشر : دار الوفاء، بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦هـ.
٥٠- قبس من نور القرآن الكريم، لمحمد بن علي الصابوني، دار القلم، دمشق.
٥١- كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، ١٣٩ هـ، الرسالة، بيروت.
٥٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري.
٥٣- لباب النقول في أسباب النزول، لجلا الدين السيوطي، نشر : دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثامنة، سنة (١٤١٤ هـ).
٥٤- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنومرة، سنة (١٤٢٦هـ).
٥٥- محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، نشر : دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).
٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الخالق بن غالب ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٢هـ).
٥٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢١هـ).

٥٨- معالم التنزيل، لابي محمد الحسين بن مسعود البغوي، نشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ).
٥٩- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي، نشر: دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).
٦٠- معاني القرآن : لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
٦١- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تحقيق محمد فؤاد سزكين: نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠١هـ).
٦٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي، نشر : مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، سنة (١٤٠٦هـ).
٦٣- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٤- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، نشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى.
٦٥- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، لدكتور: خالد المزيني، نشر : دار ابن الجوزي بالدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.
٦٦- نظرات في سورة الحجرات، د/ كامل سلامة الدقس، دار الشروق.
٦٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، نشر: دار الأندلس، بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٦هـ).

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
التمهيد، ويشتمل على ما يلي :	١١٨٨
١- اسم السورة.	١١٨٨
٢- زمن نزولها ومكانه.	١١٨٩
٣- عدد آياتها.	١١٨٩
٤- مناسبتها.	١١٨٩
٥- أغراضها.	١١٩١
الفصل الأول: بين يدي السورة وفيه عدة مباحث:	١١٩٢
المبحث الأول : أسباب نزولها.	١١٩٢
المبحث الثاني: وقفات بلاغية في السورة.	١١٩٦
المبحث الثالث: موضوعات السورة.	١١٩٨
المبحث الرابع: الأساليب القرآنية التي ذكرت في السورة	١٢٠٠
الفصل الثاني: الأحكام والآداب الواردة فيها وتحتوي على المباحث التالية:	١٢٠٢
المبحث الأول: التقدم بين يدي الله ورسوله.	١٢٠٢
المبحث الثاني: رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ والجهر له بالقول.	١٢٠٤
المبحث الثالث : خبر الفاسق.	١٢٠٧

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
المبحث الرابع: قتال البغاة.	١٢٠٩
المبحث الخامس: السخرية والتنابز بالألقاب.	١٢١٢
المبحث السادس: الظن والتجسس والغيبة.	١٢١٤
المبحث السابع: الفرق بين الإسلام والإيمان.	١٢١٩
المبحث الثامن: الآداب المستنبطة من السورة	١٢٢١
الخاتمة وتشتمل على :	١٢٢٣
أهم النتائج والتوصيات	١٢٢٤
المصادر والمراجع	١٢٢٥
فهرس الموضوعات	١٢٣١